سلمان ناطور

«هذه الحكومة لا تريد السلام»

د. يئير هيرشفيلد*: أوسلو فشلٌ ونجاح في آن واحد، وبرنامج جديد قيد التبلور

لم يكن سهلاً لقاء الدكتور يئير هيرشفيلد، المحاضر في جامعة حيفا، قسم الشرق الأوسط، مدير صندوق التعاون الاقتصادي، في تل أبيب، ويسكن في «رمات يشاي» على طريق الناصرة.

كان اللقاء في وسط الطريق بين الجليل وتل أبيب، في مقصف يؤمه في ساعات الصباح الكثير من الناس، حيث انه قرب محطة استراحة للباصات المسافرة من الشمال الى الجنوب، ووسط ضوضاء الجنود والشبيبة والمسافرين الذين كانوا يدخلون أفواجاً الى المقصف، جلسنا على طاولة نتحدث عن عشر سنوات على اتفاقات أوسلو، بين الحين والآخر كان هناك من يشنف أذنه ليصغي الى كلامنا عن السلام والاتفاق وسرعان ما يغادر وهو ينظر إلينا بعجب ممهور بالازدراء، ولما كنا نذكر اسماء مثل ياسر عرفات وأبو مازن وحماس، كانت أنظار كثيرة تصوّب الينا. فهذا المقصف لم يعتد على رؤية رجلين يشربان القهوة ويتحدثان في السياسة العامة بهدوء، وعلى الطاولة مجلة عربية (قضايا اسرائيلية) وتحتها حقيبة سوداء كبيرة نسيها الدكتور هيرشفيلد عندما غادرنا بعد ساعتين من الحديث، و«فطن» لها فقط عندما وصل الى مكتبه في تل أبيب، فبدأ اتصالات بي وبزوجته، وأنا باصدقاء ليتوجهوا الى المقصف لتأمين سلامة الحقيبة كي لا تعتبر «غرضاً مشبوهاً» فيفجرها أفراد الشرطة، أو تحتوي الدولارات فيخطفها أحد نزلاء المقصف. وما فيها سوى أوراق الدكتور الخاصة ووظائف طلابه. بعد نصف ساعة أبلغني أن زوجته وصلت الى المكان وعثرت على الحقيبة لدى صاحبة المقصف، فتاة شقراء جميلة أثرنا انتباهها بحديثنا غير العادي.

التقيناه لمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع اتفاقات أوسلو، بصفته أحد مهندسي أوسلو مع زميله رون بونداك (مدير مركز بيريس حالياً) ومع شخصيات فلسطينية سوف يذكرها في سياق المقابلة.

وكان طبيعياً أن يكون السؤال الأول: كيف بدأت الفكرة؟ وقد امتنعنا في سياقها من محاولة تقييم الحدث، بل التركيز أكثر على المعلومات من

* من مهندسي أوسلو، مدير صندوق التعاون الاقتصادي.

يئير هيرشفيلد

ولد يئير هيرشفيلد في نيوزيلندا العام ١٩٤٤، وهاجر الى البلاد عندما كان في الثانية عشرة من عمره، درس في جامعة تل أبيب وحصل على شهادة الدكتوراه في قسم الشرق الأوسط، وهو يحاضر في جامعة حيفا. صدر له كتابان الأول باللغة الألمانية: عن سياسة ايران الخارجية، والثاني باللغة العبرية: أوسلو ـ معادلة للسلام.

مصدرها الأول. قال الدكتور هيرشفيلد:

«اتفاقات أوسلو هي تطبيق لاتفاقيات كامب ديفيد من العام ١٩٧٨. ففي كامب ديفيد وضع الاطار الذي وافقت عليه مصر واسرائيل وهو حل المسألة الفلسطينية على مراحل، تبدأ المرحلة الأولى باقامة حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لمدة خمس سنوات، وفي السنة الثالثة تبدأ المفاوضات للوصول الى الحل الدائم. لقد بدأت مفاوضات في العام ١٩٧٩ ولكنها فشلت في العالم ١٩٨١، وكانت محاولة لاجرائها عن طريق الأردن وفشلت في العام ١٩٨٧. تعلمنا دروس هذه المفاوضات، وقد كنت التقي شخصيات فلسطينية من الداخل في العام ١٩٨٠ بوساطة برونو كرايسكي رئيس حكومة النمسا، وفي العام ١٩٨٢ طلب مني شمعون بيريس ويوسي بيلين مساعدتهم في ايجاد قناة اتصال مع القيادة الفلسطينية. لم ننجح إلا في العام ١٩٨٩، حيث كنت أتحدث مع فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، من جهة ثم مع يوسي بيلين وشمعون بيريس، من جهة أخرى، للوصول صفة مقبولة على الطرفين، وبالذات تركيبة الوفد الفلسطيني المفاوض، (اسرائيل رفضت التفاوض مع م. ت. ف– س. ن)، وفي ذلك العام اتفقنا على بداية المفاوضات بحيث يتشكل الوفد الفلسطيني من ثماني شخصيات من الداخل وواحد وعشرين من المبعدين، وبهذا تستطيع اسرائيل أن تدّعي انها تفاوض فلسطينيين من الداخل والفلسطينيون يستطيعون اعتبارهم من الخارج، أي ممثلي منظمة التحرير، وهذا يعني أن اسرائيل تفاوض م. ت. ف. لكن كل ذلك سقط مع سقوط الحكومة.

في العام ١٩٩٠ أقمنا صندوق التعاون الاقتصادي وحصلنا على منحة من الدول الأوروبية لفحص امكانيات اجراء المفاوضات.

أجريت اتصالات مع ٣٥ شخصية فلسطينية، ومع مكتب رئيس الحكومة، اسحق شامير، وكان هناك اجماع ان مبدأ الحل المرحلي مقبول على الجميع ويمكن البدء بعملية الوصول الى اتفاق عبر مراحل متعددة استناداً الى اتفاقات كامب ديفيد. وكان السؤال المركزي في هذه المشاورات هو كيف يمكن ممارسة حق الفلسطينيين في تقرير المصير؟ لقد وصفت حق تقرير المصير خزانة ذات عدة جوارير، هناك جوارير يمكن فتحها وأخرى يستحيل ذلك.

لقد اتفقنا على الآلية واللغة ومبدأ التدرج المرحلي. وهذا يعني أننا في نهاية الأمر سنصل الى تحقيق مبدأ دولتين لشعبين.

سألت فيصل الحسيني وحنان عشراوي: إذا انسحب الجيش الاسرائيلي من الضفة الغربية وقطاع غزة، ماذا سيفعل الشعب الفلسطيني؟

أجابا: سيقيم دولة.

بعد أن انتخب اسحق رابين في العام ١٩٩٢ أدرك هو وشمعون بيريس انه يجب التفاوض مع منظمة التحرير. في العام ١٩٨٩ كان رابين التقى قيادة الانتفاضة في معتقل «أنصار» وقال لهم سنبدأ المفاوضات. فقالوا له: يجب التفاوض مع م. ت. ف، ومع ياسر عرفات.

في تشرين الثاني ١٩٩٢ بدأ رابين يشبه عرفات في تصريحاته العلنية بناحوم غولدمان (رئيس الوكالة اليهودية سابقاً) وبعد شهر قال بيريس لرابين: يجب أن نفكّر بعودة عرفات الى المناطق.

في العشرين من كانون الثاني ١٩٩٣ بدأت مع رون فونداك محادثات في أوسلو، شارك فيها: أبو علاء وحسن عصفور وماهر الكرد.

قلت لأبو علاء: هناك أربع مراحل:

أولاً : علينا أن نفحص إذا كان هناك أساس للاتفاق.

ثانياً: الحصول على إذن ببدء المحادثات.

رابين قبيل اغتياله بقليل.

ثالثاً: بناء شرعية للمحادثات.

رابعاً: تحويلها الى مفاوضات جدية.

في اللقاء الأول فحصنا إذا كانت هناك امكانية للوصول الى شيء ما.

قال أبو علاء:

- يجب البدء بالاستقلال الذاتي في غزة.

- يجب البدء ببرنامج مارشال.

كان أبو علاء يدرك جيداً ان هذا الكلام سيقنع شمعون بيريس.

وفي اللقاء الثاني في الثامن من أيلول ١٩٩٣، قدّمت في أوسلو ورقة عمل. وبعد شهر أبلغ عرفات حسني مبارك عن هذه المحادثات، وكان واضحاً لنا أن أبو علاء في اتصال مع عرفات. طلبنا من الجانب الفلسطيني تغيير اللغة فيما يتعلق بالعنف كذلك طلبنا تجديد المفاوضات في واشنطن، وان فيصل الحسيني يعيّن رئيساً للوفد الفلسطيني في مفاوضات واشنطن. ثم على اجراء مفاوضات متعددة الجوانب. هذا خلق الشرعية. وفي العشرين من ايار انضم أوري سافير، مدير عام وزارة الخارجية (بيريس)، وبعد حوالي شهر انضم يوئيل زينغر، مدير عام مكتب رئيس الحكومة (رابين).. ثم تطورّت الأمور الى توقيع الاتفاقات في ١٣ أيلول ١٩٩٣.

ق. أ. بنظرة الى الوراء، كيف تقيم نتيجة جهودكم؟

هيرشفيلد: استطيع ان الخصها بـ: نجاح وفشل في آن واحد، كان هناك نجاح تاريخي بأن اتفاقات أوسلو شقت الطريق لتحقيق حل دولتين للشعبين وبهذا وضعت حداً لحلم أرض اسرائيل الكاملة. كذلك حطّمت بعض اللاءات الاسرائيلية: لا للاعتراف بمنظمة التحرير. ولا حل على أساس دولتين. ولا لتقسيم القدس الى عاصمتين عربية ويهودية، ولا لحدود الرابع من حزيران. وها هو شارون نفسه يعترف بأن هذه المناطق محتلة.

إن كل من يتحدث عند دولة واحدة للشعبين يعني استمرار القتل الى سنوات طويلة.

أما الفشل، فقد كانت هناك وعود متبادلة بالوصول الى تسوية على مراحل، وانه يمكن تحقيق الاستقلال الذاتي بدون عنف، والتوجه الى حل دائم.

لقد تبين أن حسناتها الكبرى هي أيضاً سيئاتها الكبرى: التبادلية وعدم معالجة القضايا الكبرى، وتركها مفتوحة. هذا كان ضرورياً للوصول الى اتفاق، لكنه أصبح الصخرة التي تحطم عليها. وقد كنا ندرك هذا الخطر، ولذلك قمت أنا ويوسي بيلين ورون ڤونداك بالسفر الى تونس في تشرين الثاني ١٩٩٣ واجتمعنا بياسر عرفات وقلنا له: تعالوا لكي نغلق الثغرات. والتقينا خلال ١٤ شهراً بهدف الوصول الى مفاهمات.

في ٣١ تشرين الأول ١٩٩٤ التقى في تل أبيب أبو مازن ويوسي بيلين واتفقا على هذه المفاهمات التي عرفت بمفاهمات بيلين أبو مازن والتي أصبحت قاعدة لاقتراحات كلينتون في الخامس من تشرين الأول ١٩٩٥، والذي أراد الوصول الى اتفاق على الحل الدائم قبل شهر تشرين الأول ١٩٩٦، وفي هذا الوقت أبلغ رابين كلينتون انه سيوقف أي اتصال

«بعد وصول نتنياهو للسلطة بدأت الخروقات الإسرائيلية».

مع السوريين ويتفرغ للمسار الفلسطيني.

في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥ قتل رابين.

وأما شمعون بيريس الذي خلفه فقد ذهب الى المسار السوري.

إن الأخطاء التي ارتكبها الفلسطينيون في ذلك الوقت هي أنهم لم يتعاملوا بجدية في مسألة وقف العنف، ولم يبدلوا اللغة الى لغة سلام، والأنكى من ذلك انهم لم يعملوا على اقامة دولتهم.

وأما الجانب الاسرائيلي، فلم يوقف الاستيطان وواصل سياسة المصادرة ولم يخلق تفاهماً مشتركاً لانهاء حالة الاحتلال على أرض الواقع. لو أن الطرفين ذهبا بسرعة الى التفاوض لتحقيق الحل الدائم لتفاديا الكثير من هذه الأخطاء.

حالة التباطؤ وعدم الوضوح ثم الأعمال الارهابية التي وقعت في آذار ١٩٩٦، خاصة بعد اعادة أبو ديس، كل ذلك أدى الى التدهور ثم الاصطدام.

بعد وصول نتنياهو الى رئاسة الحكومة، بدأت الخروقات الاسرائيلية

مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف.

للاتفاقات الموقعة. ففي العام ١٩٩٣ كان عدد المستوطنين حوالي تسعين ألفاً، واليوم يزيد على مائتي ألف مستوطن. كذلك ان الاساس للتعاون الأمني لم يكن صحيحاً، ومنذ العام ١٩٩٥ بدأت تتزعزع الثقة المتبادلة.

ق. أ: ألم تكن هذه الاتفاقات مجرد ترجمة لأحلام بعيدة عن الواقع.

هيرشفيلد: محك الاتفاق هو باستعداد الاطراف السياسية لتحقيقه. إن الطرفين الاسرائيلي والفلسطيني، لم يلتزما بتحقيق ما اتفق عليه. اسحق رابين كان مصرّاً على التحقيق ولكن في هذه الفترة ارتكبت أعمال خطيرة.

ق. أ: بدأت بالحرم الابراهيمي، جريمة غولدشتاين.. نعم، وحكومة اسرائيل لم تكن حازمة في الرد. فلا يمكن الوصول الى تسوية إذا لم يكن هناك قرار حازم بمكافحة العناصر المتطرفة.

ق. أ: كيف تنظر الى مجتمعك الاسرائيلي بعد ثلاث سنوات من هذا الصراع الدموي؟.

هيرشفيلد: المجتمع الإسرائيلي يعاني من أزمة حادة. لقد تحطمت عقائد كثيرة. الفرق بين الحرب والسلم هو أنك في الحرب لا تتنازل ولكن في السلم عليك أن تلائم نفسك لطموحات الآخر.

أعتقد أن هذا الوضع رغم قساوته إلا أن الكثير من الناس في المجتمع الاسرائيلي بدأت تبدل قناعاتها وتبدي استعداداً لقبول فكرة

الدولتين، حتى في الأوساط اليمينية المتطرفة.

ق. أ: أنت متفائل؟

هيرشفيلد: لكي يحدث تغيير تاريخي، يجب أن تتوفر ثلاثة عوامل: القيادة، والتحركات التاريخية، وبرنامج العمل.

لا توجد قيادة، ولكن هناك تحركات تاريخية، ويتبلور برنامج عمل.

ق. أ: مع هذه الحكومة؟

ـ هيرشفيلد: هذه الحكومة لا تستطيع الوصول الى سلام. ربما ان شارون قادر ولكن هذه الحكومة غير قادرة.

اليوم توجد ثلاثة مشاريع:

١ ـ اقتراحات كلينتون، كانون الأول ٢٠٠٠.

٢ ـ خارطة الطريق.

٣ ـ مشروع القمة العربي.

يجب الاعتماد على هذه المشاريع الثلاثة، وأنا واثق أننا عاجلاً أم آجلاً سنعود اليها.

ق. أ: لو ان حزب العمل انضم الى الحكومة، هل كان سيسيرها نحو السلام؟

هيرشفيلد: حزب العمل لا يستطيع الانضمام الى هذه الحكومة، ما دام شارون لا يخلي مستوطنات. إن مهمة شارون التاريخية هي اخلاء المستوطنات، من قطاع غزة والضفة الغربية. إذا فعل ذلك فإن حزب العمل سينضم الى الحكومة.

ق. أ. وما هو المخرج؟

هيرشفيلد: يجب تبني خارطة الطريق وتطبيق الاقتراحات التي قدمت، كذلك يجب ادراك العمليات التاريخية التي تجري في الواقع والأهم من ذلك، يجب تأسيس الشرعية للوصول الى تسوية في كل مجتمع من المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي وبين الاثنين معاً.

عندما اتصل بئير هيرشفيلد يسأل بقلق عن حقيبته، قال انها مليئة بوظائف الطلاب الذين يدرسهم. فهل هي مليئة أيضاً ببروتوكولات وأفكار جديدة كما ألمح عن تبلور برنامج لتجديد المفاوضات؟

يبدو أنه ينتظر سقوط هذه الحكومة ليخرج ما في حقيبته.

صدر حديثاً

العدد ٥٦ من مجلة

الدراسات الفلسطينية

توزع « مجلة الدراسات الفلسطينية »
من خلال مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

رام الله - شارع الايام، المنطقة الصناعية ، ص.ب ١٩٨٧ رام الله - فلسطين
تلفون: ٢٩٨٧٣٤١-٠٢/ ٢٩٨٧٣٤٤-٠٢/ فاكس: ٢٩٨٧٣٤٢-٠٢